

فضاءات مشرقة لأحلام الروح

في عالم مليء بالضغط والألم والشك والظلم يلتمس الكثير من الناس ترويض أنفسهم من حين لحين في الاستغراق في كتاب هروبي أو قصة تحملهم إلى أماكن خيالية يعيشون فيها مغامرات عجيبة. عمل رجاء الغربي بالنسبة لي له نفس التأثير. هو فن هروبي رسوم تذهل وتفاجئ، تبهج وتربك.

تخلق رجاء قصصا على القماش أو الورق تستقطبك داخل طبقات كثيفة وتأخذك في رحلة داخل مجرى وعيك. لوحاتها تنتز عك وتأسرك. ترسم الغربي بأساليب وأمزجة عديدة تجمع بينها بالنسبة لي ثقة ضربات فرشاتها الجريئة واستعمالها للألوان الفاتنة، والإحساس بأنها وهبت نفسها كلياً للغاية الحقيقية للوحة، بالضبط كما يشعر العديد

من كتاب القصة الخيالية أن القصة التي يبندعونها وأشخاصها تتكون لهم حياة وذاتية خاصة بهم. كذلك هو الأمر في رسوم رجاء الغربي. إذا أردت الاستمتاع الكامل برسوم رجاء الغربي أفضل الخضوع لخيال شعوري واستكشاف اتجاهه بي. أول ما أدخل الغرفة أذهل من الجمال الخالص في الألوان الجارفة والجريئة التي استعملتها في تركيبات رائعة.

عندما أقترب من اللوحة تبدأ زمر الألوان المجردة في الكشف عن أشكال نعرفها للعصافير، والأشجار والبواخر والسحب والنباتات. أشكال ندركها لكنها مع ذلك خيالية. أشجار ذات غصون عنكبوتية رقيقة تتحول إلى خيوط منسوجة.

أو مناظير طيور أو دموع تسيل من عيون معلقة في السحب. وكأنه هناك تحت حجاب السطح الملون للرسم شحنة من المغامرات السحرية المغربية.

تل جارف من الرمل يتحول إلى حجاب امرأة قبل أن يطير في الفضاء النائي في شكل شعر عنق فرس. وإذا اقتربت أكثر من الرسم أرى كلمات غريبة، ربما بالعربية أو السيريلية أو المريخية. لا أعلم. الكلمات مذرورة على غصون أشجار ووشوشات سحب مثل لفائف من القرفة والسكر الأسمر على رغبة كبوتشينو. إذا وضعت يدي لأعزل فضاءات صغيرة في القماش كتلا أرجوانية وسمراء من الخلنج تذكرني بسكتلندا مسقط رأسي... لكن هناك، في الأعلى أشكال حيوانات في السحب بجانب عيون وحيدة، ونجوم قاذفة، أم هل هي مني؟ يجذبها النسيم كي ترقص في السماء قبل أن تصبح جدائل من الطحلب تتدلى من غصون أشجار مغزلية حول واحة.

أبتعد بعض الخطوات من الرسم مشدوها ومشوشاً، لاهاً ومبتسماً ابتسامة تعبير وجهي من الأذن إلى الأذن الأخرى. فن رجاء الغربي مرصع بأيقونات من جذورها الشمالية أفريقية لكن مفاهيم التوق والقنوط والأمل والطيبة مواضيع عالمية يرن صداها عبر الزمان والجنس والحضارة. أجد نفسي عائداً إلى رسومها الكرة بعد الكرة وبعد الكرة. وكل مرة أعود إلى لوحاتها أكتشف صورا ومعاني جديدة. وقد أكون أنا من اخترعها. وربما اختلف الضوء هذا اليوم أو قد يكون مزاجي هو الذي تغير.

رجاء غربي تخلق شعرا مرئيا ساحرا يمكننا أن نستكشف فيه أعماقنا ونفسيتنا.

تسمح لنا لدقائق أو ساعات بالهروب من ضغوطات حقيقة الحياة اليومية وتدعونا أن نظل في فضاءات مشرقة لأحلام الروح من رسمها، وهو شرف لي أن أكتب هذا المقال.

السيريلية:

نسبة الى القديس سيرى: Cyrillic. ابجدية مستخدمة في بعض الدول السلافية الشرقية و الجنوبية

فن هروبي هي ترجمة للمصطلح الأنغليزي Escapist Art

بقلم الكاتب السكوتلندي الدكتور دافيد كيندي



Photo by Dan Lamont